المحاضرة الثامنة :- أهم شبهات المستشرقون وأثارها على الدين الاسلامي:

لقد استخدم أعداء الإسلام أسلوب التشويه لحقائق الإسلام وذلك من خلال الشبهات التي أثيرت حوله، فشمر العلماء والمفكرون عن ساعد الجد والاجتهاد فردوا على كل الشبهات معتمدين في ردودهم على مصادر الثقافة الإسلامية وخصائصها وفهمهم لها، وفيما يلي نذكر أهم الشبهات:

الشبهة الأولى: أن الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية يدعوا للدمار والخراب، والهدف من هذه الفرية تشويه صورة الإسلام أمام الرأي العام العالمي من غير المسلمين خشية التأثر به، وأمام المنتسبين إليه ليضعف التمسك والعمل به(١).

الشبهة الثانية: أن القرآن الكريم ليس من عند الله وإنما هو من عند البشر، فتارة يقولون هو من صنع محمد – صلى الله عليه وسلم – وأخرى أنه من صنع بحيرى الراهب، والهدف من ذلك التشكيك في شرعيته وصلاحيته لكل زمان ومكان(٢).

الشبهة الثالثة: أن الثقافة الإسلامية مستمدة من الثقافة الرومانية والإغريقية، والهدف من ذلك بيان أن الثقافة الإسلامية غير ربانية المصدر، وبالتالي يشككون في مصداقيتها في بناء المجتمع والنهوض به(٣).

الشبهة الرابعة: أن الإسلام أباح لأتباعه التعدد في الزواج، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان رجلاً شهوانياً، يسير وراء ملذاته وإشباع رغباته، والهدف من ذلك الطعن في شخص النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم –(٤).

الشبهة الخامسة: أن نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية يهدد أمن الأسرة وبشتت شملها، ويمزق المجتمع ويؤدي إلى مشكلة التشرد والانحطاط والجريمة وإلحاق الظلم بالمرأة، والهدف

من ذلك التشكيك في مصداقية التشريع الإسلامي وصلاحيته في معالجة القضايا الاجتماعية(٥).

الشبهة السادسة: أن الفقه الإسلامي وخاصة نظام العقوبات لا يصلح لأن يكون تشريعاً دائماً، وذلك لجمود أحكامه التي لا تتناسب وطبيعة العصر، ولا ينسجم مع معطيات الحضارة والمدنية، لما فيه من قسوة غير مألوفة في قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد البكر وشارب الخمر ونحو ذلك من العقوبات، والهدف من ذلك تعطيل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية(١).

الشبهة السابعة: أن الإسلام وما فيه من إيمان بالغيب والقدر يدعوا إلى الإتكالية، أي التثاقل والتواكل والكسل والتعلق بأهداب الغيب والعيش في سبحات الخيال بعيداً عن الواقع والحياة، والهدف من ذلك اعتبار الإسلام عبارة عن دين خرافي خيالي لا يتعاطى مع الحقائق العلمية والمعرفية من منطلق علمي منطقي(٢).

الشبهة الثامنة: أن الإسلام في دعوته للخير والتحلي بالفضائل يعتمد على الترغيب بالثواب المؤجل في اليوم الآخر، وهذا يعتبر من قبيل المثالية في فعل الخير. والهدف من هذه الشبهة بيان أن الإسلام دعوة روحية بعيدة عن تلبية متطلبات الحياة المادية ولا يتعاطى مع الواقعية الوجودية(٣).

الشبهة التاسعة: أن المرأة في الإسلام لا قيمة ولا مكانة لها، فقد ظلمت في ظل الإسلام وانتُقِص من قدرها، وذلك من خلال اعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل، ونصيبها من الميراث نصف نصيبه، وديتها نصف ديته ونحو ذلك(٤). إذاً هذه بعض الشبهات التي حاول الغرب عن طريق الغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين أن يثيروها علَّهم يجدون آذاناً صاغية تستجيب لها وتتأثر بها، والناظر والمتأمل لها بعقل وموضوعية يدرك زيفها وفسادها، دون الخوض في

غمارها والرد عليها ففي المصادر المشار إليها ما يسمن ويغني من جوع ويشفي صدور قوم مؤمنين.

آثار الاستشراق:

١- كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولًا في المجتمع الإسلاميّ في العصر الحديث، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة، ثم يتبعهم الكتاب والمفكرون الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبية، هذا واضح في الدعوة إلى العامية التي بدأها ولكوكس وويلمور وغيرهما، ثم تابعهما سلامة موسى، وأحمد لطفي السيد، في الدعوة إلى الإقليميات والقوميات الضيقة؛ كالفينيقية والفرعونية، بدأها فمبري وكرومر، وتابعهما طه حيسن ولطفي السيد وغيرهما.

٢- يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص، وكثيرًا ما يحرفون النَّصَّ تحريفًا مقصودًا، ويقعون في سوء الفهم -وعن عمدٍ أحيانًا- في معنى النَّصِّ، حين لا يجدون مجالًا للتحريف.

٣- يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبويّ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقهل الدميري في كتابه "الحيوان" ويكذبون ما يرويه الإمام مالك في "الموطأ"..

٤- يجمع المستشرقون الشبهات المختلفة، ويؤلفون بينها؛ لاعطائها صورةً كاملة، مثال ذلك: ما قام به المستشرق الألمانيّ ولهلم هور نباخ -الأستاذ في جامعة بون بألمانيا- من جمع قطع ونتف وشذرات من كتاب "الإصابة" للحافظ ابن حجر، ثم ينشرها على أنها كتاب "الردة" لابن حجر، الذي ألفه أبو زيد بن الفرات، المتوفى عام ٢٣٧هـ، وهو فارسيّ الأصل، وقد ضاع هذا

الكتاب، فأشار ابن حجر إليه في بعض المواضع، فما كان من المستشرق ولهلم إلّا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاصٍ ارتدوا عن الإسلام، ولا يقوم بمثل هذا العمل إلّا مغرضٌ صاحب هوًى؛ لأنه يخالف البحث العلميّ السليم.

وشبيه بهذا ما أورده المستشرقون من الزعم بأن العرب كانوا قبل البعثة النبوية على حضارة ونهضة، وأن دور النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لم يزد على أنه نهض بهم فنهضوا، مع أن الحقيقة الواضحة أن العرب في جاهليتهم كانوا قبائل متفرقة متصارعة، وأن الإسلام هو الذي وحَّدَهم في أمة واحدة، ودفعهم إلى آفاق النهوض والتوسع: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم} ١، {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} ٢.

٥– وقد حرص المستشرقون على التنويه بشأن "القرامطة" وإظهارهم بمظهر طلاب العدل والإصلاح، وهم الذين عجزوا عن أن يحققوا أيّ منهج يمكن أن يوصفوا به على أنهم دعاة حقٍّ حين أمتلكوا زمام الحكم في القرن الرابع الهجري، بل انكشف باطلهم وزيفهم، وظهرت حقيقتهم، صنائع لليهود انقضوا على الدولة الإسلامية بالتآمر والتعاون مع أعداء المسلمين وخصومهم.

٦– وعمل المستشرقون على إحياء التراث الباطنيّ المجوسيّ والطقوس القديم، مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الإسلاميّ، ويبدو هذا واضحًا في تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم، وخاصةً ما يتصل بالإلحاد والإباحية، وما يتصل بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد، والمجون، أمثال: شعر بشار بن برد، وأبي نواس، وكتب الحلّاج وابن عربي، وابن سبعين، وكتب غلاة الرافضة والإسماعلية والفاطميين.

٧– ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك، وخاصةً في الجامعات والمعاهد العالية، أو في

دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوربا وأمريكا، الذين يقعون دائمًا تحت سيطرة الاستشراق والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافيّ والتعليميّ، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث.

وقد عملوا على نشر الموسوعات –دوائر المعارف– والقواميس؛ لتكون مراجع سهلة للباحثين، وملؤوها بالسموم والشبهات ، لهذا ينبغي على من يود الرجوع إلى هذه المصادر، أن يكون على حذرٍ تامٍ، وأن يتنبه لما بين سطورها من مغالطات، أو تشويه، أو تحريف في النقل، على أن روح مؤلفيها في الحقد على الإسلام لا يخفى على المطالع الحصيف.

نماذج من أبحاث المستشرقين:

١– يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر –وهما مستشرقان يهوديان– في الغض من شأن الشريعة الإسلامية، ويحاول الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية، وهو ادعاءٌ باطلٌ تصدى له كثيرٌ من الباحثين.

ومن أكاذيب شخت وأضاليله: الادعاء بأن للفكر الإغريقيّ فضلًا على الفكر الإسلاميّ، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل: سيديو، درابر، وسارطون، وغيرهم، أن الإسلام هو الذي أدخل إلى الغرب المنهج العلميّ التجريبيّ، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينةٌ للمسلمين بهذا النهج الذي هو أساس الحضارة الإسلامية.

٢– أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيمالية اللاتينية التي تحمل اسم جابر بن حيان، هي كتب عربية الأصل، كتبها عالم مسلم؛ لمجرد أن أصولها العربية فقدت، وقد تصدّى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأه، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز، وقال سارطون: إن أي شخص

يعرف العربية لا يخطئ مطلقًا في اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية؛ إذ تبدو الأساليب العربية واضحةً من الترجمة اللاتينية، سواءً كانت لجابر أو لغيره.

٣- ويزعم سدرسكي أن جانبًا مما ورد في القرآن أو التفاسير، والسير من الأخبار، يرجع إلى الإجادة اليهودية والتوراة والأناجيل، وقد بيّن الدكتور بشر فارس، فساد هذا الرأي، وقال: إن بين النصوص الاسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات، وإن اتفق بعضها أو تقارب.

٤- وحاول نلينو أن ينفي حقيقة أن قريشًا كانت أفصح العرب، وله في ذلك مغالطات واسعةٌ ترمي إلى التشكيك في هذه الحقيقة، ويقول: إن تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول.

٥- وزعم لويس شيخو اليسوعي، أن معظم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، كانوا نصارى، وأن الغسانيين كانوا نصارى، وهو قولٌ لا يُسَلِّمُ به المطلعون على أخبار العرب في عهد الجاهلية؛ لأن من الغساسنة مَنْ كان على الوثنية، ومنهم من دان باليهودية، وطائفة كانت